الشعر والحياة الحديثة (١)

للشاعر الهندي رابندرانات تاغور

يعيش العالم الآن في عصر ثورة. فاعتقاده القديم وميله حتى تفوره في تغير وتبدل. ولم يشهد التاريخ تطوراً أصابه من التقلبات السريعة المفاجئة ما أصاب هذا التطور البادي في عقلية الجماعة والفرد. فالأخلاق تختلف، والآراء تتغاير، والاعتقادات تتباين. والجيل الجديد قد دفعته الرغبة الملحة الى تجربة كل شئ في الحياة حتى نسي فن الحياة، فلا يملك الوقت للتفكير والتأمل، ولا يجد الفراغ للسرور الهادئ يتمتع به نفسه، ولا الفرصة للقراءة يغذي بها روحه، وشدة الزمان وعنف الجهاد لايسمحان لامرىء أن يفاكه شيئاً لارادة فيه ولا ثمرة، لذلك كان فن الشعر أبعد ما يكون عن الازدهار والانتشار. فالشعراء قليلون، وروائع الشعر نادرة، لأن طبيعة العصر تقتضي ذلك.

أنا لا أزعم اني أفهم ميول العصر، ولكني أسجل ماعليه الشعر العصري من حاضر سيء وحال أليمة. ليكن السبب في ذلك متصلا بأي صورة من الصور بالحرب وأثرها في نفوس الشعوب التي صليت بنارها — وذلك مالا أجرؤ على تأييده — فان الامر الواقع أن ازدهار الشعر في هذه الساعة من أصعب الامور

ومما لاشك فيه أن الناس لايجدون لثقافة الشعر فراغا تركه السينما الناطق وموسيقى الجاز وذلك الحرص على أن يزدردوا في أربع وعشرين ساعة مقداراً من التجارب والاختراعات والاحساسات كان يغذي آباءنا الاولين شهوراً عدة

على أن هذه الحال من الظواهر الطارئة التي لاتلبث أن تزول، فان في الانسان جزءاً جوهرياً يقتضي الشعر ويتطلبه. أما وقت زوالها فذلك ما أجهله، ولكنه على أية حال لا يكون اليوم، لان الناس أصبحوا غير أهل لتقدير العمل الفني، واذا استطاع المسافر في قطار سريع أن يحسن التقدير لمنظر من المناظر، استطاع الرجل الذي يحيا هذه الحياة المحمومة أن يزن الحكم على قصيدة من القصائد. أن للحياة نسقا موزونا إذا أعجلته في حركته عرض الوجود كله للخطر. وقد نسي رجال اليوم ذلك فاصبحوا يركمون الاحساس فوق الاحساس دون استمتاع ولا تذوق، كالآكول الشره يبتلع اللقمة أثر اللقمة دون استمراء ولا مضغ ففاتهم بذلك خير ما في الحياة! تلك هي الحال الغالبة على كل شيء. ويريبني الشك في أن مثل هذه الحال توفي بالانسانية الى السعادة حتى ولو حققت لها النجاح المادي، لأن هذا النجاح لايعدو أن يصبح كل انسان قادرا على اكتساب ثروة تضمن له ترف العيش، وتنوع له صور الحياة، ولكن الواقع أن عبادة السرعة التي احتلت المشاعر وغلبت على الاذهان تستفرغ جهد المرء في تبريزه على جاره وأخذه المهلة على منافسه، والسرعة وأن بلغت بالناس بعض النجاح لاتستطيع على ما أظن ان تجدي عليهم جمال الحياة ورخاء الصدر. فالجيل الناشيء قد جني من وراء السرعة معرفة واسعة بالاشياء وخبرة عظيمة بالامور، ولكنه على وشك أن يفقد حساسيته، ويوشك هذا الميل الى الافراط أن يطغى على العالم باسره، لان انتقال الافكار من قطر الى قطر لم يكن في زمن من الازمان أسرع منه الآن، ولقد راعني سريان هذا الداء الى شرق الهند بسرعة غريبة. فمنذ قليل كان في البنغال جمهور عظيم قد سلم شعوره من شر الاخلاق، فكان عباد الجمال من شعراء الشباب موضع اجلالهم وتقديرهم، ودواوين شعرهم مصدرا لغبطتهم وسرورهم، ولكن الهنود اليوم قد اخذوا باسباب الحياة الحديثة وهي كما قلت شر على الشعر وحائل دون ازدهاره

يزعم فريق من الناس ان تأخر الشعر نتيجة لتقدم العلوم في الثلاثين أو الاربعين سنة الأخيرة وزعمهم هذ باطل، فان تفاق العلم لايستلزم حتما كساد الشعر.

وانما الخطر الحقيقي الوحيد هو أن الناس في خلال هذه الرجات الاجتماعية الحديثة يصبحون عاجزين عن ترجمة الخواطر بالشعر، قاصرين عن إدراك الجمال في القصيد، وذلك ولا ريب عرض من أعراض الهرم. ومثل هذا العرض لايظهر في الشعوب الشابة لان حاسة الشعر خصيصة من خصائص الشباب. على أن هذه الحاسة يفقدها المرء بسهولة اذا لم يساعدها بالثقافة والمران، ومتى فقدها فقد معها نضرة العيش وجمال الحياة.

(١) نشرها بالفرنسية السقيمة في عدد ابريل من مجلة (لموا)

حافظ وشوقي

للدكتور طه حسين

ظهر هذا الكتاب القيم حديثاً وهو مجموعة ما أنشأه الدكتور في هذا الموضوع الطريف. طبع طبعاً حسناً على ورق صقيل في زهاء ٢٥٠ صفحة. يباع في المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد. وثمنه ١٠ قروش.